ثم دخلت سنة ثمان عشرة ومائتين

ذكر المحنة بالقرآن المجيد

وفي هذه السنة كتب المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم ببغداد في امتحان القضاة، والشهود، والمحدثين، بالقرآن، فمن أقر أنه مخلوق محدث خلّى سبيله، ومن أبى أعلمه به ليأمره فيه برأيه، وطول كتابه بإقامة الدليل على خلق القرآن وترك الاستعانة بمن امتنع عن القول بذلك، وكان الكتاب في ربيع الأول، وأمره بإنفاذ/ سبع نفر، منهم: محمد بن سعد كاتب الواقدي، وأبو مسلم مستملي يزيد بن هارون، ويحيى بن معين، وأبو خيثمة زهير بن حرب، وإسماعيل بن داود، وإسماعيل بن أبي مسعود، وأحمد بن الدورقي، فأشخصوا إليه، فسألهم وامتحنهم عن القرآن، فأجابوا جميعاً: إن القرآن مخلوق، فأعادهم إلى بغداد، فأحضرهم إسحاق بن إبراهيم داره، وشهر قولهم بحضرة المشايخ من أهل الحديث، فأقروا بذلك، فخلّى سبيلهم.

ج٥/٢٢٢/ط

ج٥/٢٢٣/ط

وورد كتاب المأمون بعد ذلك إلى إسحاق بن إبراهيم بامتحان القضاة، والفقهاء/. فأحضر إسحاق بن إبراهيم أبا حسان الزيادي، وبشر بن الوليد الكندي، وعلي بن أبي مقاتل، والفضل بن غانم، والذيال بن الهيثم، وسجادة، والقواريري، وأحمد بن حنبل، وقتيبة، وسعدويه الواسطي، وعلي بن جعد، وإسحاق بن أبي إسرائيل، وابن الهرش، وابن علية الأكبر، ويحيى بن عبد الرحمٰن العمري، وشيخاً آخر من ولد عمر بن الخطاب كان قاضي الرقة، وأبا نصر التمار، وأبا معمر القطيعي، ومحمد بن حاتم بن ميمون، ومحمد بن نوح المضروب، وابن الفرخان، وجماعة، منهم: النضر بن شميل، وابن علي بن عاصم، وأبو العوام البزاز، وابن شجاع، وعبد الرحمٰن بن إسحاق، فأدخلوا جميعاً على إسحاق، فقرأ عليهم كتاب المأمون مرتين، حتى فهموه[1].

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٦٣١ ـ ٦٣٤)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١١/ ١٨)، وذكره اليعقوبي في «تاريخه» (٢/ ٤٦٨).

ثم قال لبشر بن الوليد: ما تقول في القرآن؟ فقال: قد عرفت مقالتي أمير المؤمنين غير مرة. قال: فقد تجدد من كتاب أمير المؤمنين ما ترى، فقال: أقول القرآن كلام الله قال: لم أسألك عن هذا، أمخلوق هو؟ قال: الله خالق كل شيء، قال: فالقرآن شيء؟ قال: نعم. قال: فمخلوق هو؟ قال: ليس بخالق. قال: ليس هو عن هذا، أمخلوق هو؟ قال: ما أحسن، غير ما قلت لك، وقد استعهدت أمير المؤمنين أن لا أتكلم فيه، وليس عندي غير ما قلت لك، فأخذ إسحاق رقعة، فقرأها عليه ووقفه عليها، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله أحداً فرداً لم يكن قبله شيء ولا يشبهه شيء من خلقه في معنى من المعاني، ووجه من الوجوه. قال: نعم. قال للكاتب: اكتب ما قال، ثم قال لعلي بن أبي مقاتل: ما تقول؟ قال: قد سمعت كلامي لأمير المؤمنين في هذا غير مرة، وما عندي غيره، فامتحنه بالرقعة فأقر بما فيها، ثم قال له: القرآن مخلوق؟/ قال: القرآن كلام الله. قال: لم أسألك عن هذا. قال: القرآن كلام الله، فإن أمرنا أمير المؤمنين بشيء سمعنا وأطعنا، فقال للكاتب: أكتب مقالته، ثم قال للذيال نحواً من مقالته لعلي بن أبي مقاتل، فقال مثل ذلك، ثم قال لأبي حسان الزيادي: ما عندك؟ قال: سل عمَّ شئت، فقرأ عليه الرقعة، فأقر بما فيها، ثم قال: ومن لم يقل هذا القول فهو كافر، فقال: القرآن مخلوق هو؟ قال: القرآن كلام الله، والله خالق كل شيء، وأمير المؤمنين إمامنا، وبه سمعنا عامة العلم، وقد سمع ما لم نسمع، وعلم ما لم نعلم، وقد قلده الله أمرنا، فصار يقيم حجنا وصلاتنا، ونؤدي إليه زكاة أموالنا، ونجاهد معه، ونرى إمامته، فإن أمرنا ائتمرنا، وإن نهانا انتهينا [وإن دعانا أجبنا].

ج٥/٢٢٤/ط

قال: فالقرآن مخلوق؟ فأعاد مقالته. قال إسحاق: فإن هذه مقالة أمير المؤمنين. قال: قد تكون مقالته ولا يأمر بها الناس، وإن خبرتني أن أمير المؤمنين أمرك أن أقول قلت ما أمرتني به، فإنك الثقة فيما أبلغتني عنه. قال: ما أمرني أن أبلغك شيئاً. قال أبو حسان: وما عندي إلا السمع والطاعة، فأمرني أأتمر. قال: ما أمرني أن آمركم وإنما أمرني أن أمتحنكم[1].

ثم قال لأحمد بن حنبل: ما تقول في القرآن؟ قال: كلام الله، قال: أمخلوق هو؟ قال: كلام الله ما أزيد عليها، فامتحنه بما في الرقعة، فلما أتى إلى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ قرأ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[2] وأمسك عن: ولايشبهه شيء من خلقه في معنى

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٦٣٨)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١١/ ٢١، ٢٢).
(٢) سورة: الشورى، الآية: ١١.

من المعاني، ولا وجه من الوجوه، فاعترض عليه ابن البكاء الأصغر فقال: أصلحك الله! إنه يقول: سميع من أذن وبصير من عين، فقال إسحاق لأحمد: ما معنى قولك: سميع بصير؟ قال: هو كما وصف نفسه. قال: فما معناه؟ قال: لا أدري، أهو هو كما وصف نفسه.

ثم دعا بهم رجلاً رجلاً كلهم يقول: القرآن كلام الله إلا قتيبة، وعبيد الله بن محمد بن الحسن، وابن علية الأكبر، وابن البكاء، وعبد المنعم بن إدريس ابن بنت وهب بن منبه، والمظفر بن مرجا، ورجلاً من ولد عمر بن الخطاب قاضي الرقة، وابن الأحمر، فأما ابن البكاء الأكبر فإنه قال: القرآن مجعول لقول الله ﷻ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾[١] والقرآن محدث لقوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾[٢].

قال إسحاق: فالمجعول مخلوق؟ قال: نعم. قال: والقرآن مخلوق؟ قال: لا أقول مخلوق، ولكنه مجعول، فكتب مقالته، ومقالات القوم رجلاً رجلاً[٣].

ووجهت إلى المأمون، فأجاب المأمون يذمهم، ويذكر كلاً منهم، ويعيبهم ويقع فيه بشيء، وأمره أن يحضر بشر بن الوليد، وإبراهيم بن المهدي ويمتحنهما، فإن أجابا وإلا فاضرب أعناقهما، وأما من سواهما فإن أجاب إلى القول بخلق القرآن، وإلا احملهم موثقين بالحديد إلى عسكره مع نفر يحفظونهم، فأحضرهم إسحاق وأعلمهم بما أمر به المأمون، فأجاب القوم أجمعون إلا أربعة نفر، وهم: أحمد بن حنبل، وسجادة، والقواريري، ومحمد بن نوح المضروب، فأمر بهم إسحاق فشدوا في الحديد[٤].

فلما كان الغد دعاهم في الحديد، فأعاد عليهم المحنة، فأجابه سجادة والقواريري، فأطلقهما، وأصر أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح على قولهما، فشدَّا في الحديد ووجِّها إلى طرسوس، وكتب إلى المأمون بتأويل القوم فيما أجابوا إليه، فأجابه المأمون: إنني بلغني عن بشر بن الوليد بتأويل الآية التي أنزلها الله تعالى في عمار بن ياسر ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[٥]، وقد أخطأ التأويل إنما عنى الله سبحانه وتعالى بهذه الآية من كان معتقداً للإيمان، مظهراً للشرك، فأما من كان معتقداً للشرك، مظهراً للإيمان،

(١) سورة: الزخرف، الآية: ٣.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢.
(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٦٣٩، ٦٤٠)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١١/ ٢٢).
(٤) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٦٤٠)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١١/ ٢٢).
(٥) سورة: النحل، الآية: ١٠٦.

فليس هذا له، فأشخصهم جميعاً إلى طرسوس ليقيموا/ بها إلى أن يخرج أمير المؤمنين من بلاد الروم، فأحضرهم إسحاق وسيَّرهم جميعاً إلى العسكر، وهم: أبو حسان الزيادي، وبشر بن الوليد، والفضل بن غانم، وعلي بن مقاتل، والذيال بن الهيثم، ويحيى بن عبد الرحمٰن العمري، وعلي بن الجعد، وأبو العوام، وسجادة، والقواريري، وابن الحسن بن علي بن عاصم، وإسحاق بن أبي إسرائيل، والنضر بن شميل، وأبو نصر التمار، وسعدويه الواسطي، ومحمد بن حاتم بن ميمون، وأبو معمر بن الهرش، وابن الفرخان، وأحمد بن شجاع، وأبو هارون بن البكاء، فلما صاروا إلى الرقة بلغهم موت المأمون فرجعوا إلى بغداد[1].

ج٥/ط/٢٢٥

ذكر مرض المأمون ووصيته

وفي هذه السنة مرض المأمون مرضه الذي مات فيه لثلاث عشرة خلت من جمادى الآخرة، وكان سبب مرضه ما ذكره سعد بن العلاف القارىء، قال: دعاني المأمون يوماً فوجدته جالساً على جانب البذندون، والمعتصم عن يمينه، وهما قد دلَّيا أرجلهما في الماء، فأمرني أن أضع رجلي في الماء، وقال: ذقه! فهل رأيت أعذب منه، أو أصفى صفاء، أو أشد برداً؟ ففعلت، وقلت: يا أمير المؤمنين! ما رأيت مثله قط، فقال: أي شيء يطيب أن يؤكل ويشرب عليه هذا الماء؟ فقلت: أمير المؤمنين أعلم، فقال: الرطب الأزاذ.

فبينما هو يقول، إذ سمع وقع لجم البريد فالتفت، فإذا بغال البريد عليها الحقائب فيها الألطاف، فقال لخادم: انظر إن كان في هذه الألطاف رطب أزاذ فأت به! فمضى، وعاد ومعه سلتان فيهما أزاذ كأنما جني تلك الساعة، فأظهر شكراً لله وتعجبنا جميعاً وأكلنا وشربنا من ذلك الماء، فما قام منا أحد إلا وهو محموم، وكانت منية المأمون من تلك العلة، ولم يزل المعتصم مريضاً حتى دخل العراق، وبقيت أنا مريضاً مدة[2].

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٦٤٥)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١١/ ٢٤)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٧١٧)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢١١)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ٣١).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٦٤٧)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١١/ ٢٤) و (١١/ ٣٥)، وذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٣/ ٣١٥)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٧٢٣)، وذكره المسعودي في «مروج الذهب» (٤/ ٤٥)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢١١)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ٣١، ٣٢)، وذكره ابن أعثم في «الفتوح» (٨/ ٤٦٧).

فلما مرض المأمون أمر أن يكتب إلى البلاد الكتب من عبد الله المأمون أمير المؤمنين، وأخيه الخليفة من بعده أبي إسحاق بن هارون الرشيد، وأوصى إلى المعتصم بحضرة ابنه العباس وبحضرة الفقهاء، والقضاة، والقواد، وكانت وصيته بعد الشهادة، والإقرار بالوحدانية، والبعث، والجنة، والنار، والصلاة على النبي ﷺ والأنبياء: إني مقر مذنب، أرجو وأخاف، إلا أني إذا ذكرت عفو الله رجوت، وإذا مت فوجهوني، وغمضوني، وأسبغوا وضوئي وطهوري، وأجيدوا كفني، ثم أكثروا حمد الله على الإسلام، ومعرفة حقه عليكم في محمد ﷺ إذ جعلنا من أمته المرحومة، ثم أضجعوني على سريري، ثم عجلوا بي، وليصلِّ عليَّ أقربكم نسباً وأكبركم سناً، وليكبّر خمساً، ثم احملوني وابلغوا بي حفرتي، ولينزل بي أقربكم قرابة وأودكم محبة، وأكثروا من حمد الله وذكره، ثم ضعوني على شقي الأيمن، واستقبلوا بي القبلة، ثم حلوا كفني عن رأسي ورجلي، ثم سدوا اللحد واخرجوا عني، وخلوني وعملي، وكلكم لا يغني عني شيئاً، ولا يدفع عني مكروهاً، ثم قفوا بأجمعكم فقولوا خيراً إن علمتم، وأمسكوا عن ذكر شر إن كنتم عرفتم، فإني مأخوذ من بينكم بما تقولون، ولا تدعوا باكية عندي، فإن المعول عليه يعذب، رحم الله عبداً اتعظ، وفكر في ما حتم الله على خلقه من الفناء، وقضى عليهم من الموت الذي لا بد منه، فالحمد لله الذي توحد بالبقاء، وقضى على جميع خلقه الفناء، لينظر ما كنت فيه من عزِّ الخلافة، هل أغنى عني ذلك شيئاً إذ جاء أمر الله؟ لا والله، ولكن أضعف علي به الحساب، فيا ليت عبد الله بن هارون لم يكن بشراً، بل ليته لم يكن خلقاً.

ج٥/٢٢٦/ط يا أبا إسحاق، ادن مني واتعظ بما ترى، وخذ بسيرة أخيك في القرآن والإسلام/ واعمل في الخلافة إذا طوقكها الله، عمل المريد لله الخائف من عقابه وعذابه، ولا تغتر بالله ومهلته وكأن قد نزل بك الموت، ولا تغفل أمر الرعية والعوام، فإن الملك بهم وبتعهدك لهم، الله الله فيهم، وفي غيرهم من المسلمين، ولا ينتهين إليك أمر فيه صلاح للمسلمين ومنفعة إلا قدمته وآثرته على غيره من هواك، وخذ من أقويائهم لضعفائهم، ولا تحمل عليهم في شيء، وأنصف بعضهم من بعض بالحق بينهم، وقربهم، وتأن بهم، وعجل الرحلة عني، والقدوم إلى دار ملكك بالعراق، وانظر هؤلاء القوم الذين أنت بساحتهم، فلا تغفل عنهم في كل وقت، والخرمية فأغزهم ذا حرمة، وصرامة، وجلد، واكنفه بالأموال والجنود، فإن طالت مدتهم فتجرد لهم فيمن معك من أنصارك وأوليائك، واعمل في ذلك عمل مقدم النية فيه راجياً ثواب الله عليه[1].

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٦٤٩)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٧٢٣)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١١/ ٣٦).

ثم دعا المعتصم بعد ساعة حين اشتد الوجع، وأحس بمجيء أمر الله، فقال: يا أبا إسحاق! عليك عهد الله وميثاقه وذمة رسول الله ﷺ، لتقومن بحق الله في عباده، ولتؤثرن طاعة الله على معصيته، إذ أنا نقلتها من غيرك إليك. قال: اللهم نعم! قال: هؤلاء بنو عمك من ولد أمير المؤمنين عليّ، صلوات الله عليه، فأحسن صحبتهم، وتجاوز عن مسيئهم، واقبل من محسنهم، ولا تغفل صلاتهم في كل سنة عند محلها، فإن حقوقهم تجب من وجوه شتى، اتقوا الله ربكم حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، اتقوا الله واعملوا له، اتقوا الله في أموركم كلها، أستودعكم الله ونفسي، وأستغفر الله ما سلف مني إنه كان غفاراً، فإنه ليعلم كيف ندمي على ذنوبي، فعليه توكلت من عظيمها وإليه أنيب، ولا قوة إلا بالله، حسبي الله ونعم الوكيل، وصلى الله على محمد نبي الهدى والرحمة[1].

ذكر وفاة المأمون وعمره وصفته

وفي هذه السنة توفي المأمون لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب، فلما اشتد مرضه وحضره الموت، كان عنده من يلقنه، فعرض عليه الشهادة وعنده ابن ماسويه الطبيب، فقال لذلك الرجل: دعه، فإنه لا يفرق في هذه الحال بين ربه وماني، ففتح المأمون عينيه وأراد أن يبطش به، فعجز عن ذلك، وأراد الكلام فعجز عنه، ثم إنه تكلم، فقال: يا من لا يموت ارحم من يموت، ثم توفي من ساعته.

ولما توفي حمله ابنه العباس وأخوه المعتصم إلى طرسوس، فدفناه بدار خاقان خادم الرشيد، وصلى عليه المعتصم، ووكلوا به حرساً من أبناء أهل طرسوس، وغيرهم مائة رجل، وأجرى على كل رجل منهم تسعون درهماً، وكانت خلافته عشرين سنة وخمسة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً، سوى سنين كان دعي له فيها بمكة، وأخوه الأمين محصور ببغداد، وكان مولده للنصف من ربيع الأول سنة سبعين ومائة، وكانت كنيته: أبا العباس.

وكان ربعة، أبيض، جميلاً، طويل اللحية رقيقها، قد وخطها الشيب، وقيل: كان أسمر تعلوه صفرة، أجنى، أعين، [طويل اللحية رقيقها أشيب]، ضيق البلجة بخده خال أسود[2].

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٦٥٠)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١١/ ٣٦).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٦٥١)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١١/ ٣٦).

ذكر بعض سيرته وأخباره

قال محمد بن صالح السرخسي: تعرض رجل للمأمون بالشام مراراً، وقال: يا أمير المؤمنين! انظر لعرب الشام كما نظرت لعجم خراسان، فقال له: أكثرت عليَّ، والله ما أنزلت قيساً من ظهور خيولها إلا وأنا/ أرى أنه لم يبق في بيت مالي درهم واحد ـ يعني فتنة ابن شبث العامري ـ وأما اليمن فوالله ما أحببتها ولا أحبتني قط، وأما قضاعة فساداتها تنتظر السفياني [وخروجه]، حتى تكون من أشياعه، وأما ربيعة فساخطة على ربها مذ بعث الله نبيه من مضر، ولم يخرج اثنان إلا وخرج أحدهما سائساً، اعرف فعل الله بك، وذكر سعيد بن زياد أن المأمون قال لما دخل دمشق: أتي بالكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ، قال: فأريته، فقال: إني لأشتهي أن أدري ايش هذا الغشاء على هذا الخاتم؟ قال: فقال له المعتصم: حل العقدة حتى تدري ما هو! قال: ما أشك أن النبي ﷺ عقد هذا العقد، وما كنت لأحل عقدة عقدها رسول الله ﷺ، ثم قال للواثق: خذه وضعه على عينيك، لعل الله أن يشفيك! وجعل المأمون يضعه على عينيه ويبكي[1].

ج٥/٢٢٧ط

وقال العبسي صاحب إسحاق بن إبراهيم: كنت مع المأمون بدمشق، وكان قد قل المال عنده، حتى أضاق، وشكا ذلك إلى المعتصم، فقال له: يا أمير المؤمنين، كأنك بالمال وقد وافاك بعد جمعة، وكان قد حمل إليه ثلاثون ألف ألف درهم من خراج ما يتولاه له، فلما ورد عليه المال قال المأمون ليحيى بن أكثم: اخرج بنا ننظر هذا المال، فخرجا ينظرانه، وكان قد هيىء بأحسن هيئة، وحليت أباعره، فنظر المأمون إلى شيء حسن، واستكثر ذلك واستبشر به، والناس ينظرون إليه ويعجبون منه، فقال المأمون: يا أبا محمد، ننصرف بالمال وأصحابنا يرجعون خائبين، إن هذا للؤم، ثم دعا محمد بن يزداد، فقال له: وقع لآل فلان بألف ألف، ولآل فلان بمثلها، ولآل فلان بمثلها، فما زال كذلك حتى فرق أربعة وعشرين ألف ألف، ورجله في الركاب، ثم قال: ادفع الباقي إلى المعلى يعطيه جندنا، قال العبسي: فقمت نصب عينيه انظر إليهما، فلما رآني كذلك قال: وقع لهذا بخمسين ألفاً فقبضتها[2].

وذكر عن محمد بن أيوب بن جعفر بن سليمان أنه كان بالبصرة رجل من بني

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٦٥٢).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٦٥٣)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢١٢)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ٣٢).

تميم بن سعد، وكان شاعراً ظريفاً خبيثاً منكراً، وكنت آنس به، وأستحليه، فقلت له: أنت شاعر، وأنت ظريف، والمأمون أجود من السحاب الحافل، فما يمنعك منه؟ فقال: ما عندي ما يحملني، فقلت: أنا أعطيك راحلة ونفقة، فأعطيته راحلة نجيبة وثلاثمائة درهم، فعمل أرجوزة ليست بالطويلة، ثم سار إلى المأمون، قال: فجئت إليه وهو بسلغوس، قال: فلبست ثيابي وأنا أروم بالعسكر، وإذا بكهل على بغل فاره، فتلقاني مواجهة، وأنا أردّد نشيد أرجوزتي، فقال: السلام عليك، فقلت: عليكم السلام ورحمة الله وبركاته، قال: قف، إن شئت! فوقفت فتضوّعت منه رائحة المسك والعنبر، فقال: مَا أولك؟ قلت: رجل من مضر، قال: ونحن من مضر، قال: ثم ماذا؟ قلت: من بني تميم، قال: وما بعد تميم؟ قلت: من بني سعد، قال: وما أقدمك؟ قلت: قصدت هذا الملك الذي ما سمعت بمثله أندى رائحة، ولا أوسع راحة، قال: فما الذي قصدته به؟ قلت: شعر طيب يلذ على الأفواه ويحلو في آذان السامعين، قال: فأنشدنيه! فغضبت وقلت: يا ركيك، أخبرتك أني قصدت الخليفة بمديح تقول: أنشدنيه؟ فتغافل عنها وألغى عن جوابها، فقال: فما الذي تأمل منه؟ قلت: إن كان على ما ذكر لي فألف دينار، قال: أنا أعطيك ألف دينار إن رأيت الشعر جيداً، والكلام عذباً، وأضع عنك العناء وطول الترداد متى تصل إلى/ الخليفة، وبينك وبينه عشرة آلاف رامح ونابل؟ قلت: فلي عليك الله أن تفعل! قال: نعم، لك الله علي أن أفعل، فأنشدته. ج٥/٢٢٨ط

مـأمُـون ذا المنـزلـةِ الـشـريـفـهْ ... وصـاحـب المرتـبـةِ المُنـيـفـهْ

وقـائـدَ الـكـتـيـبـةِ الـكـثـيـفـهْ ... هـل لـك فـي أرجُـوزةٍ ظـريـفـهْ

أظـرفُ مـن فِـقْـهِ أبي حـنـيـفـهْ ... لا والـذي أنـت لـه خـلـيـفـهْ

مـا ظُـلِـمـتْ فـي أرضـنـا ضـعـيـفـهْ ... أمـيـرنـا مُـؤنَـتُـهُ خـفـيـفـهْ

ومـا اقـتـنـى شـيـئـاً سِـوى الـوظـيـفـهْ ... فـالـذنـبُ والـنـقـمـةُ فـي سـقـيـفـهْ

والـلـصُ والـتـاجـرُ فـي قـطـيـفـهْ

قال: فوالله ما عدا أن بلغت ههنا، فإذا زهاء عشرة آلاف فارس قد سدوا الأفق يقولون: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، قال: فأخذتني رعدة، فنظر إلي بتلك الحال، فقال: لا بأس عليك أي أخي، قلت: يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداك، من جعل الكاف مكان القاف من العرب؟ قال: حمير، قلت: لعن الله حمير، ولعن من استعمل هذه اللغة بعد اليوم وضحك المأمون، وقال لخادم معه: أعطه ما معك،

فأخرج كيساً فيه ثلاثة آلاف دينار، فأخذتها ومضيت[١].

ومعنى سؤاله عن وضع الكاف موضع القاف أنه أراد أن يقول: يا رقيق، فقال يا ركيك، وقال عمارة بن عقيل: أنشدت المأمون قصيدة مائة بيت، فأبتدىء بصدر البيت، فيبادرني إلى قافيته كما قفيته، فقلت: والله يا أمير المؤمنين، ما سمعها مني أحد قط، فقال: هكذا ينبغي أن يكون ثم قال لي: أما بلغك أن عمر بن أبي ربيعة أنشد عبد الله بن عباس قصيدته التي يقول فيها:

يشط عداداً وجيراننا

فقال ابن عباس:

ولدارُ بعدَ غدٍ أبعدُ

حتى أنشده القصيدة يقفيها ابن عباس، ثم قال: أنا ابن ذاك، وذكر أن المأمون قال:

بعثتُكَ مُرْتاداً فَفُزْتَ بنَظْرَةٍ ... وأغْفَلْتَني حتى أسأتُ بكَ الظَّنَا
فناجيتُ مَنْ أَهْوَى وكنتُ مباعداً ... فيا ليتَ شِعْري عن دُنُوِّكَ ما أغنَى
أرى أثراً منه بعَيْنَيْكَ بَيِّناً ... لقد أخَذَتْ عيناكَ من عينِه حُسنا

قيل: وإنما أخذ المأمون هذا المعنى من العباس بن الأحنف، فإنه أخرج هذا المعنى، فقال:

إن تَشْقَ عيني بها فقد سَعِدَتْ ... عَينُ رَسُولي وفُزْتُ بالخَبَرِ
وكُلَّما جاءني الرسولُ لها ... وددتُ عَهداً في عَينهِ نظري
خُذْ مُقْلَتي يا رسولَ عارِيَةٍ ... فانظر بها واحْتَكِم على بَصري[٢]

قيل: وشكا اليزيدي يوماً إلى المأمون ديناً لحقه، فقال: ما عندي في هذه الأيام ما إن أعطيناك بلغت به ما تريد، فقال: يا أمير المؤمنين، إن غرمائي قد أرهقوني، قال: انظر لنفسك أمراً تنال به نفعاً، قال: إن لك/ ندماء، فيهم من إن حركته نلت به نفعاً، قال: أفعل، قال: إذا حضروا عندك فمر فلاناً الخادم يوصل رقعتي إليك، فإذا قرأتها

ج٥/٢٢٩/ط

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٦٥٥)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٧٢٣)، وذكره المسعودي في «مروج الذهب» (٤/ ٤٥).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٦٥٨).

فأرسل إليّ: دخولك في هذا الوقت متعذر، ولكن اختر لنفسك من أحببت، قال: أفعل، فلما علم اليزيدي جلوس المأمون مع ندمائه، وتيقن أنهم قد أخذ الشراب منهم، أتى الباب فدفع إلى الخادم رقعته، فإذا فيها:

يا خَيْرَ إخواني وأصحابي ... هذا الطُّفَيْلِيُّ على البابِ
أخبر أن القومَ في لَذَّةٍ ... يَصْبُو إليها كُلُّ أوّابِ
فَصَيِّرُوني واحداً منكُمُ ... أو أَخرِجُوا لي بعضَ أترَابي

فقرأها المأمون عليهم، وقالوا: ما ينبغي أن يدخل علينا على مثل هذه الحال، فأرسل إليه المأمون: دخولك في هذا الوقت متعذر، فاختر لنفسك من أحببت تنادمه، فقال: ما أريد إلا عبد الله بن طاهر، فقال له المأمون: قد اختارك فسر إليه! قال: يا أمير المؤمنين، وأكون شريك الطفيلي؟ فقال: ما يمكن رد أبي محمد عن أمرين، فإن أحببت أن تخرج إليه، وإلا فافتد نفسك منه، فقال: علي عشرة آلاف، قال: لا يقنعه، فما زال يزيد عشرة عشرة والمأمون يقول: لا يقنعه، حتى بلغ مائة ألف، فقال له المأمون: فعجلها، فكتب بها إلى وكيله ووجه معه رسولاً، وأرسل إليه المأمون قبض هذه الدراهم في هذه الساعة أصلح من منادمته، وأنفع لك[1].

وقال عمارة بن عقيل: قال لي عبد الله بن أبي السمط: أعلمت أن المأمون لا يبصر الشعر؟ قلت: ومن يكون أعلم منه؟ فوالله إنا لننشده أول البيت فيسبقنا إلى آخره، قال: إني أنشدته بيتاً أجدت فيه، فلم يتحرك له، قلت: وما هو؟ قال:

أضحَى إمامُ الهُدَى المأمونُ مُشْتَغِلاً ... بالدينِ والناسُ بالدُّنيا مشاغِيل

قال فقلت: والله ما صنعت شيئاً، هل زدت على أن جعلته عجوزاً في محرابها، فإذن من الذي يقوم بأمر الدنيا إذا تشاغل عنها، وهو المطوق بها، ألا قلت كما قال جدي جرير في عبد العزيز بن الوليد:

فلا هُوَ في الدُّنيا يُضيعُ نَصِيبَهُ ... ولا عَرَضُ الدُّنيا عَنِ الدِّينِ شاغلُه

فقال: الآن علمت أني قد أخطأت[2].

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٦٦١، ٦٦٢)، وذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٧/ ١٦٧)، وانظر: ديوان «صالح بن الرشيد» (١١٩).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٦٦٣)، وانظر: «ديوان صالح بن الرشيد» (٤٣٥).

قال أبو العباس أحمد بن عبد الله بن عمار: كان المأمون شديد الميل إلى العلويين والإحسان إليهم، وخيره مشهور معهم، وكان يفعل ذلك طبعاً لا تكلفاً، فمن ذلك أنه توفي في أيامه يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين العلوي، فحضر الصلاة عليه بنفسه، ورأى الناس عليه من الحزن والكآبة ما تعجّبوا منه، ثم إن ولداً لزينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس - وهي ابنة عم المنصور - توفي بعده، فأرسل له المأمون كفناً، وسيّر أخاه صالحاً ليصلي عليه، ويعزي أمه، فإنها كانت عند العباسيين بمنزلة عظيمة، فأتاها وعزاها عنه، واعتذر عن تخلفه عن الصلاة عليه، فظهر غضبها، وقالت لابن ابنها: تقدم فصلِّ على أبيك، وتمثّلت:

سَبَكْنَاه ونَحْسَبُهُ لُجَيْنًا ... فأَبْدَى الكِيرُ عن خَبَثِ الحَدِيدِ

ثم قالت لصالح: قل له يا ابن مراجل: أما لو كان يحيى بن الحسين بن زيد لوضعت ذيلك على فيك/ وعدوت خلف جنازته. ج٥/٢٣٠/ط

ذكر خلافة المعتصم

هو أبو إسحاق محمد بن هارون الرشيد، بويع له بالخلافة بعد موت المأمون، ولما بويع له شغب الجند، ونادوا باسم العباس بن المأمون، فأرسل إليه المعتصم فأحضره، فبايعه، ثم خرج إلى الجند فقال: ما هذا الحب البارد؟ قد بايعت عمي، فسكتوا، وأمر المعتصم بخراب ما كان المأمون أمر ببنائه من طوانة مما نذكره في عدة حوادث، وحمل ما أطاق من السلاح والآلة التي بها، وأحرق الباقي وأعاد الناس الذين بها إلى البلاد التي لهم، وانصرف إلى بغداذ ومعه العباس بن المأمون، فقدمها مستهل شهر رمضان[1].

ذكر خلاف فضل على زيادة الله

وفي هذه السنة وجّه زيادة الله بن الأغلب - صاحب إفريقية - جيشاً لمحاربة

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٦٦٧)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٧٢٤)، وذكره ابن أعثم في «الفتوح» (٨/ ٤٧٠) مختصراً، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١١/ ٢٥، ٢٧، ٢٩)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢١٢)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ٣٣)، وذكره اليعقوبي في «تاريخه» (٢/ ٤٧١)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (٢٢/ ٢٤٣).

فضل بن أبي العنبر بالجزيرة، وكان مخالفاً لزيادة الله، فاستمد فضل بعبد السلام بن المفرج الربعي، وكان أيضاً مخالفاً من عهد فتنة منصور، كما ذكرنا، فسار إليه، فالتقوا مع عسكر زيادة الله وجرى بين الطائفتين قتال شديد عند مدينة اليهود بالجزيرة، فقتل عبد السلام وحمل رأسه إلى زيادة الله، وسار فضل بن أبي العنبر إلى مدينة تونس، فدخلها وامتنع بها، فسير زيادة الله إليه جيشاً، فحصروا فضلاً بها، وضيّقوا عليه حتى فتحوها منه، وقتل وقت دخول العسكر كثير من أهلها، منهم عباس بن الوليد الفقيه، وكان دخل في بيته لم يقاتل، فدخل عليه بعض الجند، فأخذ سيفه وخرج وهو يصيح: الجهاد، فقتل وبقي ملقى في خربة سبعة أيام لم يقربه ذو ناب ولا مخلب، وكان قد سمع الحديث من ابن عيينة وغيره، وكان من الصالحين، وهرب كثير من أهل تونس لما ملكت، ثم آمنهم زيادة الله فعادوا إليها[١].

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة عاد المأمون إلى سلغوس، ووجّه ابنه العباس إلى طوانة، وأمره ببنائها، وكان قد وجّه الفعلة، فابتدأوا في بنائها ميلاً في ميل، وجعل سورها على ثلاثة فراسخ، وجعل لها أربعة أبواب، وجعل على كل باب حصناً، وكتب إلى البلدان ليفرضوا على كل بلد جماعة ينتقلون إلى طوانة، وأجرى لهم لكل فارس مائة درهم، ولكل راجل أربعين درهماً[٢].

وفيها توفي بشر بن غياث المريسي، وكان يقول بخلق القرآن والإرجاء وغيرهما من البدع[٣].

وفيها دخل كثير من أهل الجبال، وهمذان، وأصبهان، وماسبذان، وغيرها في دين الخرمية، وتجمعوا، فعسكروا في عمل همذان، فوجه إليهم المعتصم العساكر، وكان فيهم: إسحاق بن إبراهيم بن مصعب، وعقد له على الجبال في شوال، فسار إليهم،

---

(١) ذكره ابن عذاري في «البيان المغرب» (١/ ١٠٥) مختصراً.

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٦٣١)، وذكره المسعودي في «مروج الذهب» (٤/ ٤٢، ٤٣)، وذكره ابن العمراني في «الأنباء في تاريخ الخلفاء» (١٠٢).

(٣) ذكره الذهبي في «تاريخ الإسلام» (حوادث سنة: ٢١١ ـ ٢٢٠ هـ) (٨٥، ٨٨).

فأوقع بهم في أعمال همذان، فقتل منهم ستين ألفاً، وهرب الباقون إلى بلد الروم، وقرىء كتابه بالفتح يوم التروية[١].

وحجّ بالناس هذه السنة: صالح بن العباس بن محمد[٢].

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٦٦٧، ٦٦٨)، وذكره المقدسي في «البدء والتاريخ» (٦/ ١١٤)، وذكره الذهبي في «تاريخ الإسلام» (حوادث سنة: ٢١١ ـ ٢٢٠ هـ) (٢٨)، وذكره ابن العبري في «تاريخ مختصر الدول» (١٣٨، ١٣٩).

(٢) ذكره المسعودي في «مروج الذهب» (٤/ ٤٠٥)، وذكره ابن حبيب في «المحبّر» (٤٢)، وذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٦٦٨)، وذكره الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (١/ ٢٠٢)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١١/ ٣٠)، وذكره ابن خياط في «تاريخه» (٤٧٥)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (٢٢/ ٢٤٣).